(مضمون عيد الغدير)

كلمة الشيخ الغزّي في إحتفال عيد الغدير في السويد

السبت: 17/9/2016م – 15 ذو الحجة 1437

✤ إحياء الغدير في الوسط الشيعي إذا أردتُ أن أزنه بموازيين حقيقة ما تحدّث عنه خاتم الأنبياء في غدير خم، فإنّ هذا الإحياء لا علاقة له بتلك الحقيقة!

والسبب: لأنّ مضمون حديث الغدير بالنحو المُجمل هو حديث الثقلين، فنحنُ إذا ما أردنا أن نعود إلى نصوص أحاديث النبي صلّى الله عليه وآله في كلّ كلام قاله في مُقدّمات الغدير وفي خُطبة البيعة وفيما جرى بعدها في أجواء غدير خم، فالمضمون بكلّه يُلخّصه حديث الثقلين. ولكن حديث الثقلين في الوسط الشيعي غاية ما يُعطى له مِن الأهميّة هو أن يُستعمَل دليلاً في أنّ الشيعة على حقّ! وهذا المعنى هو حاشية في حديث الثقلين، ولا يُوجد تطبيق آخر أو تفصيل عملي لحديث الثقلين في الوسط الشيعي غير هذا ! جوهر حديث الثقلين لم يلتفتْ إليه أحد! بل إنّ ساحة الثقافة الشيعية تسير باتّجاه معاكس 100% لمضمون حديث الثقلين!

■ حديث الثقلين يُريد أن يقول أنّنا لن نستطيع أن نصل إلى حقائق القرآن مِن دون العترة.. ولكن هذا شيء لا وجود له لا في المكتبة الشيعية ولا في المدارس الشيعية ولا في وسائل الإعلام الشيعي، ولا في حُسينيّاتنا، ولا في الواقع الشيعي عموماً بكلّ أجزائه وتفاصيله. غاية ما يُذكر عن حديث الثقلين في الواقع الشيعي هو أنّ هذا الحديث يُستفاد منه أنّ الشيعة على حقّ، وأنّ الشيعة يتمسّكون بعترة النبي، فهم إذاً على الحقّ - بحسب ما هم يقتنعون بهذا - أمّا حقيقة مضمون الحديث فلا أثر له!

✤ مثال ونموذج يُبين أنّ حقيقة مضمون حديث الثقلين لا وجود لها في الواقع الشيعي: إذا وقفنا مثلاً عند (الجزء 30) مِن أجزاء القرآن الذي يُسمّى بـ(جزء عمّ).. وأنا اخترتُ هذا الجزء باعتبار أنّه يُدرّس في المدارس الابتدائية وكثير مِن الناس يحفظون سُوَراً منه لأنّ سُوَره قصيرة. إذا وقفنا عند هذا الجزء، أقول:

◄أولاً: هل أهل البيت صلوات الله عليهم قسّموا القرآن إلى 30 جزء؟! أنا أتحدّى أيّ واحد في شرق الأرض أو في غربها يأتيني بنصّ يقول: أنّ العترة قسّمتْ القرآن إلى 30 جزء (أتحدّى الجميع من أوّل الشيعة إلى آخرهم). فهذا التقسيم (جزء عمّ) و (جزء تبارك)، ووو...إلخ التقسيمات.. فلا التقسيم هو مِن أهل البيت، ولا التسميات هي من أهل البيت!

◄ ثانياً: إذا أردنا أن ننظر لأسماء السُوَر في (جزء عمّ)، هناك سورة الضحى وهناك سورة الشرح أو الانشراح. لو أنّ أحدكم أراد يوماً أن يقرأ سورة الضحى في صلاته وأكمل سورة الضحى مثلما هي موجودة في (جزء عمّ) وأكمل صلاته، فهذا الشخص لو أنّه سأل مرجع تقليده وقال: بأنّه قرأ في صلاته سورة الضحى وأكمل السورة كما هي في الجزء 30، فسيقول له الفقيه: صلاتك ناقصة... راجعوا الرسائل العمليّة جميعاً، راجعوا أحكام القراءة فيها، ستجدون في الرسائل العملية أنّه إذا أردتَ أن تقرأ سورة الضحى في الصلاة فلابُدّ أن تقرأ معها سورة الشرح وإلّا صلاتك ناقصة؛ لأنّ هاتين السورتين في فقه أهل البيت عليهم السلام سورة واحدة! فلابُدّ أن تقرأ السورتين معا.

● قطعاً إذا لم تسأل المرجع الذي تُقلّده عن هذه المسألة وسألته مثلاً: هل هناك سورة اسمها الضحى، وسورة اسمها سورة الشرح؟ سيقول نعم! هناك سورتان بهذا الإسم بحسب التقسيم الموجود، ولكنّنا إذا رجعنا إلى كلمات أهل البيت عليهم السلام فإنّهم يعدّون هاتين السورتين سورة واحدة!

■ إذا أردنا أن نقف عند هاتين السورتين (الضحى والشرح) واللّتين هما سورة واحدة عند أهل البيت، فسنجد أنّ مضمون هاتين السورتين في ثقافة العترة هو في أجواء الغدير. ولكن إذا أردنا أن نستمع إلى الفضائيات وأردنا أن نستمع إلى أبرز خطيب في الجوّ الشيعي العربي فسيقول لك: مِن أنّ تفسير هذه السورة في بيعة الغدير هو تفسير زبالة!!هذه حقيقة والتسجيلات موجودة.. فهذا الخطيب يقول: أنّ المخالفين الذين يقولون بأنّ الشيعة تُفسّر هذه الآية {فإذا فرغتَ فانصب} أنّها في بيعة الغدير هؤلاء يفترون على الشيعة، وما أتوا به هو تفسير فلا وجود له في كتب الشيعة، وهو تفسير زبالة! فيقول هذا المتحدّث أنّه راجع كتب التفسير لعلمائنا فلم يجد فيها هذا المعنى (مثل تفسير الميزان، وتفسير التبيان، وتفسير مجمع البيان، وتفسير الكاشف..) وفعلاً هذه التفاسير خالية مِن هذا المعنى، فهي لا تُفسّر هذه الآية {فإذا فرغتَ فانصب} بأنّها في بيعة الغدير.. فكتب تفسير علمائنا تُغنّي في وادي آخر لا علاقة له بأهل البيت عليهم السلام!

● هذا الخطيب الشيعي المعروف يقول بأنّ الحديث الذي يُفسّر هذه الآية {فإذا فرغتَ فانصب} ببيعة الغدير هو حديث زبالة!! والحال أنّ الرواية موجودة في الكافي وفي مصادر كثيرة جدّاً من كتبنا كلّها تُشير إلى أنّ هذه الآيات وهذه السورة هي في أجواء بيعة الغدير! فأين هو مضمون حديث الثقلين - الذي يُمثّل مضمون بيعة الغدير - أين هو تطبيقه في الواقع الشيعي؟! لا يوجد!

■ ما يأتي به الشيعة في مناسبة الغدير مجرّد طقوس (قد تكون مشحونة بعاطفة)، ولكنّها طقوس فقط.. يُضاف إليها الاجترار للحديث على طول الخطّ عند المُتحدّثين!

وقفة عند حادثة ينقلها الشيخ الغزّي حصلتْ معه حينما كان صغيراً، تُبيّن القصّة حالة الاجترار للحديث عند الخطباء في الواقع الشيعي وأنّها موجودة على طول الخط! لو كان هذا الاجترار للحديث عند خطباء الشيعة اجترار لشيء مهم، فلا يُوجد اعتراض.. ولكنّه اجترار لحواشي الأمور وليس للجوهر والأمور المركزية.

■ والأمر الثاني: أنّ هذه المجالس التي تقام في الوسط الشيعي في مناسبات العترة عُمرها فقّاعي (بعمر الفقّاعة) لا أثر لها. لذلك إنّنا لا نجد قناة فضائية أو مجلّة فصليّة أو خطيب أو مُتحدّث يرسم خطّاً فكريّاً واضحاً وتبقى الناس تأخذ منه! كُلّ الذي يُطرح هو بعُمر الفقّاعة!

✤ الإجتماع مِن أجل إحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام بما هي مُناسبات أمرٌ حسن، ولكن الذي يُجيب أن يكون هو أن نجعل هذه المناسبات محطّات لنشاط حقيقي، بحيث يُشكّل هذا النشاط لَبِنة أو نصف لَبِنة في مُحاولة إثارة الوعي (إثارة دفائن العقول).

✤ هناك آيات عديدة في القرآن تتحدّث عن الغدير ومنها ما جاء في سورة الشرح - مثلاً - لكن الذي صار معهوداً في أذهان الشيعة هو أنّ الآية التي تتحدّث عن الغدير في القرآن هي الآية 67 من سورة المائدة {يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنْزلَ إليكَ مِن ربّك وإنْ لم تفعلْ فما بلّغتَ رسالته والله يعصمك مِن الناس}! صحيح أنّ هذه الآية في بيعة الغدير ولكنّها ليستْ الآية الوحيدة

● أمّا سبب اهتمام الشيعة بها والتركيز عليها دون غيرها فذلك لأنّ المخالفين ذكروها في كُتبهم أنّها في بيعة الغدير، فلأجل الاحتجاج عليهم نحن نُبرمج أنفُسنا وفقاً لإيقاع المُخالفين!

● بالنسبة لسورة الشرح، لم يذكر المخالفون أنّ هذه السورة في بيعة الغدير، لذلك لن تجد هذا موجوداً في الثقافة الشيعية! ومِن هنا ثقافتنا الشيعية في الأعمّ الأغلب هي مُستوردة مِن المخالفين، أو هي منسوجة وفقاً للإيقاع المخالف لأهل البيت! (وهكذا تتشكّل الثقافة الشيعية في أيّ جانب من الجوانب)!

✤ وقفة سريعة عند الخطوط والمضامين العامّة (التي ترتبط ببيعة عليّ وغدير عليّ) في سورة (الضحى - الإنشراح) اللّتان تُمثّلان سورة واحدة في ثقافة العترة

● قوله تعالى {ألم يجدك يتيماً فآوى} المعنى المتبادر لليتيم هو الذي مات والداه، وهذا المعنى صحيح أنّه موجود في اللّغة، ولكنّ الأئمة لم يُشيروا إلى ذلك، المخالفون هم الذين أشاروا إلى ذلك! أمّا في كلمات أهل البيت عليهم السلام {ألم يجدك يتيماً} أي: وجوداً نادراً لا مثيل له ولا يُشابهه مُشابه.. كما تقول (درّة يتيمة أي نادرة). (علماً أنّني لا أعترض على الحقائق التأريخية ولا المعنى العُرفي، ولكن الذي يُريده أهل البيت عليهم السلام هو معنى آخر غير المعنى التأريخي العرفي.

● قوله الآية الكريمة {فآوى} هذه المفردة على المعنى الأوّل: أيّ أنّ النبي كان يتيماً بلا أب ولا أم، والذي آواه هو أبو طالب وفاطمة بنت أسد.. يعني أنّ النبي آوى إلى بيت أبي طالب وفاطمة بنت أسد. وإذا دقّقنا النظر في تعبير الآية، فهي تقول: {ألم يجدك يتيماً فآوى} يعني أنّ الله تعالى ينسب الفعل الذي قام به (أبو طالب وفاطمة بنت أسد) ينسبه إلى نفسه. (هذا على المعنى اللّغوي). وأمّا على المعنى المذكور في كلمات أهل البيت عليهم السلام، فإنّ أبا طالب وفاطمة بنت أسد والجميع هم الذين آووا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله. ففي كلمات أهل البيت عليهم السلام: {ألم يجدك يتيماً فآوى} أي: كُنت يتيماً مُنقطعاً لا مثيل لك، فآوى إليكَ الخلق، أي أنّ الخلق رجعوا إليك.. وما جنّة المأوى إلّا مظهر من المظاهر المُحمّدية، وما شجرة طوبى إلّا صورة لجنّة المأوى.. وفي كلماتهم الشريفة: أنّ شجرة طوبى تنبت في بيت عليّ وفاطمة.

● قوله تعالى {ووجدكَ ضالّاً فهدى} في المعنى اللّغوي (عائلاً) أي فقيراً.. أمّا في كلمات أهل البيت عليهم السلام فالمُراد منها: أي مُعيلاً لغيرك، لجأ الآخرون إليكَ فأعلتهم بعلمك. فالسورة تتحرّك مضامينها في جوّ الأسرة التي سيّدها أبو طالب وهو أشرف مَن بايع عليّاً، كما ورد في كلماتهم الشريفة التي تتحدّث عن نور نبيّنا ونور سيّد الأوصياء فتقول: (فلم يزالا يجريان طاهرين مُطهّرين في الأصلاب الطاهرة، حتّى افترقا في أطهر طاهرين: في عبد الله وأبي طالب) فأبو طالب هو أشرف مَن بايع عليّاً.

■ أمّا سورة الشرح، فإنّ كلّ آية مِن آياتها مختومة بـ(علي) كما في روايات أهل البيت عليهم السلام. فآياتها نزلتْ كالتالي: {ألم نشرح لك صدركَ بعليّ * ووضعنا عنك وزركَ بعليّ} وهكذا.. إلى أن تأتي الآية الأخيرة {فإذا فرغتَ فانصب علياً} فالسورتان الضحى والشرح - بحسب التقسيم والتسمية الموجودة في المصحف - هما في جوّ العائلة العَلَوية الغَديرية، وفي بيعة عليّ صلوات الله عليه. كما جاء في كلماتهم الشريفة صلوات الله عليهم في تفسير القمّي {ورفعنا لكَ ذكرك بعليّ} إذ صار وصيّاً لك.

✤ أوردتُ ما أوردتُ مِن ذكر السورتين مِن الجزء 30 مثالاً، أردتُ أن أُقرّب فيه الفكرة التي أشرتُ إليها: مِن أنّ ساحة الثقافة الشيعية بعيدة عن المضامين الحقيقية التي تُريدها العترة الطاهرة.

✤ كما قلت في أوّل حديثي: مضمون بيعة الغدير بالنحو المُجمل هو (حديث الثقلين)، أمّا مضمونها بالنحو التفصيلي التشخيصي الذي كان يُناسب ذلك الزمان، فهو أنّ النبي صلّى الله عليه وآله أخذ عهداً على الذين بايعوا عليّاً في الغدير: ألّا يُفسّروا القرآن إلّا مِن طريق عليّ (عقد البيعة شرطه الأساس هو هذا). فنحنُ إذا أردنا أن نُبايع عليّاً لابدّ أن نُبايعه على هذا الشرط. علماً أنّ المُتتبّع لكتب تفاسير علمائنا ومراجعنا سيجد أنّ علماءنا ومراجعنا في تفسيرهم للقرآن لم يلتزموا بهذا الشرط المأخوذ على الأئمة في بيعة الغدير.. فلم يأخذوا تفسير القرآن عن عليّ!! فالشيعة لم يلتزموا بشروط بيعة الغدير، وهذا شاهد مِن الشواهد!

● المشكلة كبيرة جدّاً، والشيعة يغطّون في نومٍ عميق.. فعلى أرض الواقع لا يوجد تطبيق لبيعة الغدير في الوسط الشيعي! لأنّ بيعة الغدير أوّل فقرة من فقراتها وشروطها هو أن نُفسّر القرآن بمنهج عليّ وآل عليّ، وهذا غير موجود في الواقع الشيعي!!

- الشيعة لأنّهم تعوّدوا على الفِكر المخالف - الذي امتدّ وتغلغل في الواقع الشيعي عبر أجيال وأجيال- صاروا لا يتذوّقون فكر أهل البيت عليهم السلام ولا يستطيبونه!!

ختام الحديث: وقفة عند قصّة القصّاب المصري الذي كان يذبح لحم الحمير ويبيعه على الناس.. فهذه القصّة تحكي حال الواقع الشيعي مع طامّة الفكر المخالف الذي تغلغل فيه.